(٤)

قصة الرجل يزور أخاه

عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ : « أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله على مدرجته [١] . ملكا، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية.قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟قال : لا، غير أني أحببته في الله ـ عز وجل .قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » [٢] .

شرح القصة :

هذه قصة رجل رحل من قريته إلى قرية أخرى ليزور أخا له في الله ، فبعث الله له ملكا يسأله عن سبب زيارته ، أمن أجل قرابة بينك وبينه ، أم لمصلحة لك عنده، أم لمعروف أسداه إليك وأنت تريد أن تردّ له جميله ، أم ماذا ؟

ويجيب الرجل أنه يزوره لأنه يحبه في الله ،ويبشره الملك أن الله قد أحبه لحبه إياه .

درس من القصة :

أهم درس نستفيده من هذه القصة يدور حول الأخوة والحب في الله ، فالأخوة هي إحدى المقومات الأساسية التي يعتمد عليها الإسلام في بناء المجتمع الإسلامي ، وإحكام الربط بين أفراده وأبنائه . ويوم أقام الرسول ﷺ المجتمع الإسلامي الأول في المدينة كانت الأخوة هي الدعامة الثانية في صرح الدولة الإسلامية بعد العقيدة [٣] .

---

(١) طريقه .
(٢) مسلم (٢٥٦٧/ ٣٨) .
(٣) مشكلات الدعوة والداعية : فتحي يكن ، ص ٢٠٦ .

فلا أخوة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون أخوة . وإن وجدت أخوة ولم تجد من ورائها إيمانا فهو التقاء مصالح وتبادل منافع . وإن وجدت إيمانا ولم تجد بجانبه أخوة فهو إيمان ناقص ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) .

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : حقت محبتي للمتحابّين فيّ ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ . المتحابّون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيّون والصدّيقون والشهداء» (٢) .

فالأخوة سر من أسرار الله القدسية لا يخضع لمقاييس الناس ولا تجري عليه موازينهم، تمتلئ به النفس دون مقدمات ، وتروى به القلوب في لحظات . يجتمع المؤمنان ولم يسبق لهما تعارف ، ولم يكن بينهما من قبل لقاء ، فإذا هما أخوان لا يطيق أحدهما فراق أخيه .

إنها امتزاج روح بروح ، وتصافح قلب مع قلب . إنها الشراب الطهور الذي يسقيه الله لعباده المؤمنين ، فإذا المحبة تنبض في عروقهم وتسري مع دمائهم ، وتتألق في وجوههم . عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله .قالوا : يا رسول الله ، ألا تخبرنا من هم؟ قال : قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزنوا . ثم قرأ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٣) .

هكذا يقوم المجتمع المسلم بالعقيدة والأخوة في الله ، فهل ينتبه الدعاة إلى الله لهذه الأسس فيقيموا عليها بنيانهم ، أم على قلوب أقفالها ؟

---

(١) الحجرات : ١٠.
(٢) أحمد (٥/ ٢٣٠)، وابن حبان (٢٥١٠) ، والحاكم (٤/ ١٦٨ ، ١٦٩) وصححه ، ووافقه الذهبي .
(٣) يونس ، والحديث رواه أبو داود (٣٥٢٧) .

(٥)

قصة رجل دخل الجنة في كلب سقاه

قال رسول الله ﷺ :« بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيه فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رَقِيَ ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له » . قالوا : يا رسول الله ، إن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال : « في كل كبد رطبة أجر »[١] .

دروس تربوية :

في هذه القصة دروس تربوية عظيمة تحتاج أن يتمعن فيها المسلم ، ليعرف كم كرَّم الإسلام الحياة ، وما تضم من إنسان وحيوان ونبات وجماد . قال ـ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[٢] . بغض النظر عن لونه أو لغته أو دينه أو قومه .

وإذا كان تكريم الإنسان أمرا اتفقت عليه الحضارات ، مع التفريق بين إنسان وإنسان ، وحضارة وحضارة ، إلا أن تكريم الحيوان قد سبق فيه الإسلام حضارات الدنيا .

من روائع حضارتنا :

وأول ما تعلنه مبادئ حضارتنا في مجال الرفق بالحيوان ، أن تقرر أن عالم الحيوان كعالم الإنسان له خصائصه وطبائعه وشعوره : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[٣] . فله حق الرفق والرحمة كحق الإنسان : « الراحمون يرحمهم الرحمن »[٤] . « من أُعطي الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة »[٥] .

---

(١) البخارى (٦٠٠٩) ، ومسلم (٢٢٤٤/ ١٥٣) .
(٢) الإسراء : ٧٠ .
(٣) الأنعام : ٣٨ .
(٤) أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذى (١٩٢٤) وقال : « حسن صحيح » .
(٥) أحمد (٦/ ٤٥١) .

بل إن الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة كما ورد في قصة الرجل الذي دخل الجنة في كلب سقاه، كما أن القسوة على الحيوان تدخل النار كما ورد في قصة المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها .

وتمضي الشريعة في تشريع الرحمة بالحيوان، فتحرم المكث طويلا على ظهره وهو واقف، قال عليه الصلاة والسلام : « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي» [1] . وتحرم إجاعته وتعريضه للضعف والهزال . فقد مرّ ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه ، فقال : « اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » [2] . كما تحرم إرهاقه بالعمل فوق ما يتحمل .

دخل رسول الله ﷺ بستانا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح دموعه ، ثم قال :« من صاحب هذا الجمل» ؟ فقال صاحبه : أنا يا رسول الله، فقال له عليه الصلاة والسلام : « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه» [3] . (تتعبه بكثرة استعماله).

كما تحرم التلهي به في الصيد « من قتل عصفورا عبثا عجَّ إلى الله يوم القيامة يقول : يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة» [4] . واتخاذه هدفا لتعليم الإصابة، فقد « لعن رسول الله ﷺ من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا» [5] . (أي هدفا).

وتنهى عن التحريش بين الحيوانات ، ووسمها في وجوهها بالكي والنار فقد مرَّ الرسول ﷺ على حمار قد وسم في وجهه ، فقال :« لعن الله الذي وسمه » [6] .

واسمعوا ما أروع هذه الرحمة بالحيوان وأبلغ دلالتها على روح حضارتنا. قال عبد الله ابن مسعود ﷺ : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فرأينا حمّرة (طير يشبه العصفور) معها

---

(١) أحمد (٣/ ٤٣٩) .
(٢) أبو داود (٢٥٤٨) .
(٣) أبو داود (٢٥٤٩) ، وأحمد (١/ ٢٠٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٧٥٤) : « إسناده صحيح ».
(٤) النسائي (٤٤٤٥، ٤٤٤٦) .
(٥) مسلم (١٩٥٧/ ٥٨) .
(٦) الهيثمي في مجمع الزوائد(٨/ ١١٣) وقال : « رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات » .

فرخان لها، فأخذناهما فجاءت الحمّرة تعرّش (ترفرف بجناحيها) ، فلما جاء رسول الله قال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردّوا ولدها إليها » . ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال : « من أحرق هذه؟ » قلنا : نحن ، قال :« إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» [1] .

وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال . فهم يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه ، فإن امتنع أُجبر على بيعه أو الإنفاق عليه ، أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه ، أو ذبحه إذا كان مما يؤكل . وقد ذهبوا إلى ما هو أبعد من هذا ، فقال بعضهم : إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف. ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق.

هذه هي مبادئ الرفق بالحيون في حضارتنا وتشريعنا. فكيف كان الواقع التطبيقي لها ؟

بينما رسول الله ﷺ في بعض سفره ، إذ سمع امرأة من الأنصار تلعن ناقة لها وهي تركبها، فأنكر ذلك عليها وقال : «خذوا ماعليها ودعوها فإنها ملعونة» ، وأُخذت الناقة وتركت تمشي في الناس لا يعرض لها أحد [2] .

ومرّ عمر ﷺ برجل يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا .

وهكذا كان طابع حضارتنا رفقا بالحيوان وعناية به من قبل الدولة والمؤسسات الاجتماعية .

أما **عناية الدولة** فليس أدل على ذلك من أن خلفاءنا كانوا يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان ومنع الأذى عنه والإضرار به .

فقد أذاع عمر بن عبد العزيز في إحدى رسائله إلى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس في غير حق .

وكتب إلى صاحب السكك (وهي وظيفة تشبه مصلحة السير) ألا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة .

---

(١) أبو داود (٥٢٦٨) .
(٢) مسلم (٢٥٩٥) .

وكان من وظيفة المحتسب (وهي وظيفة تشبه في بعض صلاحياتها وظيفة الشرطي في عصرنا الحاضر) أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق ، أو تعذيبها وضربها أثناء السير ، فمن رآه يفعل ذلك أدّبه وعاقبه .

وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب كبير. وحسبنا أن نجد في ثبت الأوقاف القديمة أوقافا خاصا لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافا لرعي الحيوانات المسنة العاجزة. ومنها أرض المرج الأخضر (التي يقام عليها الآن الملعب البلدي بدمشق) فإنها وقف للخيول العاجزة التي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع بها، فترعى وتنام، حتى لقد كان يجتمع في دارها المخصصة لها مئات القطط الفارهة السمينة التي يقدم لها الطعام كل يوم وهي مقيمة لا تتحرك إلا للرياضة والنزهة .

ولعل أصدق مثال عن روح الشعب في ظل حضارتنا، أن ترى صحابيا جليلا كأبي الدرداء ﷺ يكون له بعير فيقول له عند الموت : يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك . وأن صحابيا كعدي بن حاتم ﷺ كان يفتّ الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات لنا لهن علينا حق .

وأن إماما كبيرا كأبي إسحاق الشيرازي كان يمشي في طريق ومعه بعض أصحابه فعرض له كلب فزجره صاحبه فنهاه الشيخ وقال له: أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه[1] ؟

وهكذا كرَّم الإسلام الإنسان ، ورحم الحيوان ، وحافظ على البيئة ، وأحيا موات الأرض ، وحض المسلم على الرحمة ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

فهل ينتبه المسلم إلى ذلك ، وهو يحاول إعادة بناء الأمة ؟

---

(١) من روائع حضارتنا : مصطفى السباعي .

obeikandl.com

(٦)

صامتا عن الحلال وأفطرتا على الغيبة

عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال : أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم وقال: «لايفطرن أحد منكم حتى آذن له» .فصام الناس حتى أمسوا، فجعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله إني ظللت صائما فأذن لي فأفطر. فيأذن له ، الرجل والرجل ، حتى جاء رجل فقال : يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما تستحيان أن تأتياك فأذن لهما فلتفطرا. فأعرض عنه ، ثم عاوده فأعرض عنه ، ثم عاوده فأعرض عنه ، ثم عاوده فأعرض عنه . ثم قال : « إنهما لم تصوما، وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس» [1] .

تربية ميدانية :

في هذه القصة يعلّمنا رسول الله ﷺ درسا مهما في التربية الميدانية ، كيف نستأصل الشر من النفوس بطريقة عملية إن لم ينجح أسلوب النصح والإرشاد، فيأمر الناس بصوم يوم، ولكنهم لا يفطرون حتى يأذن لهم . نوع آخر من الصيام ، لا ينتهي بغروب شمس ذلك اليوم ، ولكنه يحتاج إلى إذن خاص من رسول الله ﷺ.

ويصوم الناس ، ويأذن لهم رسول الله فيفطرون ، إلا فتاتين يُعرِض عنهما ، ثم يعرض عنهما ، ليتعمق إحساسهما بالذنب فلابد أنهما أدركتا فعلتهما!

وبعد الإعراض الطويل يلقي رسول الله ﷺ كلمته الحاسمة المؤثرة: « إنهما لم تصوما ، وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس» .

(لقد صامتا عما أحلّ الله لهما ، وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما) .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى(٣/ ٥٠٧)، وعزاه لأبى داود الطيالسى .

الغيبة داء وبيل :

والغيبة داء وبيل ، يستسهله كثير من الناس ، بل يجعله الكثيرون مادة حديثهم، وهو كما يهدد الكيان النفسي للإنسان ، يهدد سلامة وأمن المجتمع ، قال النبي ﷺ: « لما عُرج بيَ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم »[1] .

والغيبة مثل كل الأوبئة تصيب المتحدث المغتاب ، وتصيب السامع الذي قبل بالحديث ، لهذه الأسباب ولخطورة المسألة عالج رسول الله ﷺ هذه الجريمة الاجتماعية بالتحذير تارة وبمواقف عملية تارة أخرى .

في التربية قد ينفع مع البعض أسلوب الكلمة الرقيقة الهادئة ، يوعظ بها القلب فيتفتح وتتفتح أساريره ، وتتفاعل مشاعره فينعكس على جوارحه وسلوكه في الحياة .

وقد لا يكفي البعضَ الموعظةُ الحسنة ، ويطلبون لها شاهدا من الواقع أمامهم . يريدون درسا عمليا يؤثر في نفوسهم ويشحذها حتى تتحرك الموعظة في قلوبهم .

وقد لا يؤثر الدرس العملي ، حتى يقترن بالعقوبة ، فيكون الوقع مباشرا ملموسا، فيؤدي نتيجة في الأشخاص من ناحية ، وفي العبرة لغيرهم من ناحية أخرى[2] .

هكذا تكون التربية كلمة هادفة بأسلوب رقيق . وإلا فدرس عملي .وإذا لم ينفع كل ذلك فعقوبة زاجرة . وكذلك فليفعل المربون .

---

(١) أبو داود (٤٨٧٨) .

(٢) وسائل التربية الإسلامية : د . عجيل النشمى ص ٣٢ .

(٧)

ولا بزفرة واحدة!

روى الحافظ أبو بكر البزار في مسنده - بإسناده- عن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبي ﷺ : هل أدّيت حقها؟ قال : « لا. ولا بزفرة واحدة »[1] .

هكذا ولا بزفرة في حمل أو وضع ، وهي تحمله وهنا على وهن . وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم ، وفي وصايا رسول الله ﷺ - ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلا- ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه .

ووصينا الإنسان بوالديه حسنا :

فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة ، كما يريدها الله ، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال ، في غير تأفف ولا شكوى ، بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان ! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة!

فأما الوليد فهو في حاجة إلى التوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولّى الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما.

---

(١) كشف الأستار (١٨٧٢) ، والهيثمى فى المجمع(٨/ ١٣٧).

وهذه الصورة الموحية : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [1] . تـرسم ظلال هذا البذل النبيل .

والأم بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر، وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق [2] .

لهذه المعاني العظيمة ، يقول رسول الله ﷺ للرجل الذي حمل أمه يطوف بـه ا، عنـدما سأله : هل أدّيت حقها؟ فأجابه النبي ﷺ : « لا . ولا بزفرة واحـدة » وكـذلك أجـاب ﷺ الرجل الذي سأله : من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال:« أمك ، قال : ثم من؟ قـال : أمك ، قال : ثم من؟ قال أمك ، قال : ثم من؟ قال : أبوك » [3] .

وإذا كانت الأم أولا والوالدان ثانيا والأسرة معهما تشكل الخلية الأولى في المجتمع ، وبصلاحهما يصلح المجتمع ، فإن رسول الله ﷺ كان حريصا أشد الحرص على أن تكون أواصر المحبة والعطف والحنان والرحمة بين أفراد هذه الأسرة قوية ومتينة . فإذا لم يكن ثمة توادّ بين أعضائها فإن المجتمع محكوم عليه بالانهيار ولا شك . قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [4] . وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [5] .

فكيف أوصاه؟

- أوصاه بأن يخفض لهما جناح الذُّلّ من الرحمة .
- وألا يسمعا منه كلمة تذمر أو تأفف .

---

(١) لقمان : ١٤.
(٢) فى ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٨ .
(٣) البخارى (٥٩٧١) ، ومسلم (٢٥٤٨) .
(٤) الإسراء .
(٥) العنكبوت : ٨ .

- وأن يعلم أن العقوق هو الآفة التي تنخر في المجتمع وتقوض أواصره .
- وأن يعلم أن عقوقه لوالديه ، سيعطي أبناءه الفرصة أن يعُقّوه ، فقد رأوا النموذج أمامهم .

وهكذا في حلقات متواصلة لا تنتهي إلا بتقويض بناء المجتمع .

الأسرة في ديار الغرب :

الأمم التي تزعم أنها متحضرة، التي ينفصل فيها الابن أو الفتاة عن الأم والأب عند بلوغهما الثامنة عشرة من أعمارهم أو أقل ، ويأخذ كل طرف طريقه ، تفتش الأم عن ابنتها أو ابنها فلا تجده ، ولا تسمح ظروف الابن أو الفتاة أن يلقيا نظرة وداع على الأم . إنها شقوة الإنسان ، ومصرع الحضارة .

أما في ظل حضارة الإسلام فالكل في إطار حياة اجتماعية رائعة ، قال النبي ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» [1] .

في العمل الإسلامي ، يحرص بعض الشباب على الاندفاع في نشاطهم بين المسجد والمدرسة والحلقة ، ويعامل في هذا الإطار أبويه معاملة جافة ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، كلا لم يحسن صنعا . **وكل عمل يقوم به الفتى أو الفتاة ينبغي أن ينبع من مرضاة الأب والأم ، وإلا فهو ادعاء ومراء لا خير فيه .**

(١) البخارى (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٨/ ١٤) .

(٨)

كل مصيبة بعدك جلل

أخرج ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ يوم أحد . فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسول الله؟ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل [1] .

في غزوة أحد ، انتصر المشركون على المسلمين ، وكثر بينهم القتلى ، وصرخ صارخ بأن محمدا قد مات ، فارتج أهل المدينة ، وتعالى صراخهم .

واللوحة التي أمامنا اليوم هي مشهد من مشاهد ذلك اليوم العصيب في حياة المسلمين، مشهد امرأة يخبرها المسلمون بأن زوجها وأخاها وأباها وهم كل ما لديها في هذه الدنيا قد استشهدوا ، وتقول لهم : ليس عن هذا أسأل ، بل ما فعل رسول الله ؟ فلما أخبروها أنه بخير ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : **كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله** .

ماذا فعل هذا الدين بأولئك النسوة ؟

لمن تركن النواح ، وشق الصدور ، وشد الشعور؟

كيف نسين في غمرة الإيمان والشعور بالمسؤولية الأخ والأب والزوج ، وكل نظرهن منصرف إلى سلامة القائد ، ففي سلامته انتصار للدعوة ؟

كيف فعل هذا الدين بأختهن الخنساء التي جالت جزيرة العرب تصرخ في كل ركن من أركانها برثاء أخيها صخر ، فطلوع الشمس يذكرها بصخر ، وتذكره لكل غروب

---

(١) البداية ٤/ ٤٧ .

شمس ، وهي ذاتها ، الخنساء الشاعرة المرهفة الحس ، التي قالت عند استشهاد أبنائها الأربعة في موقعة القادسية : الحمد لله الذي شرفني بمقتلهم .

سبحان الله ، كيف تغيرت الأحوال ، وتطاولت الآمال ، حتى تحولت المرأة المسلمة من مجرد إنسان يتشاءم المجتمع بمولده ، إلى رائدات كفاح وعماد نهضة ، همها الدعوة، ورائدها النبي، كل ما يعنيها هو انتصار الإسلام وسلامة الرسول ﷺ .

وإذا كانت محبة الرسول ﷺ من علامات الإيمان ، فإن طاعته هي الدليل العملي لهذا الحب .

أخي المسلم ، وأختي المسلمة ، هذه هي مواصفات الجيل الرباني الذي تخرج على يد النبي المربي ﷺ ، فانتصر.

وهكذا فليفعل مربو هذه الأيام ، إذا أرادوا تكرار التجربة .

(٩)

دعوها فإنها منتنة

في غزوة بني المصطلق (شعبان ٤ هـ) ، وبعد النصر الذي أحرزه الجيش الإسلامي بقيادة النبي ﷺ ، حدثت فتنة خطيرة داخل الجيش الإسلامي . وذلك أن رجلا من غفار حليف للمهاجرين اسمه جهجاه ، وسنان بن وبر الجهني حليف الخزرج تخاصما على الماء، فصرخ الغفاري : يالكنانة ، وصرخ الجهني : ياللأنصار ، واستجاب للنداء جمع من هؤلاء وهؤلاء ، وشهر كل فريق سلاحه في وجه أخيه ، وخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟! دعوها فإنها منتنة ، من دعا دعوى الجاهلية كان من محشي جهنم» . قيل : يا رسول الله ، وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم؟

قال : « وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم » [1] .

الروابط والوشائج :

هكذا تحدث الفتن في الصف الإسلامي ، بالتخلي عن أخوة الإسلام واللجوء إلى أخوة القبلية الجاهلية .

وعبر التاريخ ، وفي كل مكان ، حيث تمسك المسلمون بأخوتهم ، انتصروا .

وفي كل ظرف عادوا فيه إلى جاهليتهم وقبليتهم انتكسوا ، ليس في الدنيا فقط ، وإنما في الآخرة ـ أيضا .

جاء الإسلام إلى هذه البشرية بتصور جديد لحقيقة الروابط والوشائج ، يوم جاءها بتصور جديد لحقيقة القيم والاعتبارات ، ولحقيقة الجهة التي تُتلقى منها هذه القيم وهذه الاعتبارات .

---

(١) البخارى (٤٩٠٥) ، ومسلم (٢٥٨٤/ ٦٢) .

جاء الإسلام ليردّ الإنسان إلى ربه ، وليجعل هذه السلطة هي السلطة الوحيدة التي يتلقى منها موازينه وقيمه ، كما تلقى منها وجوده وحياته ، والتي يرجع إليها بروابطه ووشائجه ، كما أنه من إرادتها صدر وإليها يعود .

جاء ليقرر أن هناك وشيجة واحدة تربط الناس في الله فإذا انبتت هذه الوشيجة فلا صلة ولا مودة : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) .

وحين انبتت وشيجة القرابة بين محمد ﷺ وبين عمه أبي لهب، وابن عمه عمرو بن هشام، وحين قاتل المهاجرون أهلهم وأقاربهم ، حينئذ اتصلت وشيجة العقيدة بين المهاجرين والأنصار ، فإذا هم أهل وأخوة ، واتصلت الوشيجة بين المسلمين العرب وإخوانهم : صهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وتوارت عصبية القبيلة ، وعصبية الجنس ، وعصبية الأرض (٢) . وقال لهم رسول الله ﷺ : « دعوها فإنها منتنة» ، وقال لهم : « ليس منا من دعا إلى عصبية » .

هكذا علمنا القائد القدوة ، وعلى أبناء الدعوة الإسلامية أن يستوعبوا الدرس ، وأن يستروحوا أرج الآفاق العليا ، بعيدا عن نتن اللحم والدم ، ولوثة الطين والأرض .

---

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) معالم فى الطريق : سيد قطب ١٣٦ .

obeikandl.com

(١٠)

ليخرجن الأعز منها الأذل

في غزوة بني المصطلق تخاصم رجل من المهاجرين مع رجل من الأنصار ، وصاح كل منهما يستنجد بقبيلته ، وكادت تحدث فتنة ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ، وقال : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » وانتهت الفتنة وانصاع الجميع لتوجيهات النبي ﷺ . فغاظ ذلك رأس النفاق عبد الله بن أبي فقال : أوقد فعلوها (يعني المهاجرين) ما رأيت كاليوم مذلة قط ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأُول : (سمِّن كلبك يأكلك) أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ. هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير دياركم. ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه ـ أي النبي ﷺ ـ فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد [1] .

وغضب رسول الله ﷺ لهذا الخبر غضبا شديدا وتغيّر وجهه . وكان عبد الله بن أبي سيدا في قومه الخزرج ، وما كانت عداوته للنبي وبغضه للمسلمين لتخفى على النبي ﷺ ولكنه لم يشأ التوسع في الموضوع ، بل حاول إسدال الستار عليه خوف الفتنة .

وعندما طلب عمر بن الخطاب ﷺ من رسول الله ﷺ أن يسمح له بضرب عنق رأس النفاق ، رفض النبي هذا الطلب وقال : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه » ؟

وأمر رسول الله ﷺ بأن يتحرك الجيش بسرعة في اتجاه المدينة ، وكان يقصد بذلك أن يتعب الناس فلا يجدوا مجالا للحديث عن الموضوع الخطير الذي أثاره رأس النفاق عبد الله بن أبي .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٣٦ ، ٢٣٧).

قال ابن إسحاق : وجاء النبيَ ﷺ أسيدُ بن حضير (وهو من سادات الخزرج) وقال : يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها ، فقال له ﷺ :« أو ما بلغك ما قال صاحبكم »؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله؟ قال : « عبد الله بن أبي »، قال : وما قال؟ قال : « زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا [1] .

ولم يشأ النبي ﷺ أن يجري أي تحقيق فيما نسب إلى رأس النفاق من قول خطير، أو يتخذ أي إجراء ضده .

زعيم النفاق مع وجوه الخزرج :

وسمع وجوه الخزرج بالأمر ، فجاؤوا إليه وقالوا له : يا أبا الحباب ، إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي فليستغفر لك ، ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك ، وإن كنت لم تقله فائت رسول الله ﷺ فاعتذر له. فحلف لقومه بالله العظيم أنه ما قال من ذلك شيئا، ثم جاء النبي وحلف له بالله أنه لم يقل شيئا مما نقل عنه .

عبد الله بن عبد الله بن أبي :

وعلم عبد الله مقالة أبيه فجاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه قد بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرني أن أحمل لك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي بين الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ لهذا الشاب المؤمن : « ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا » .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧) .

حتى يأذن لك رسول الله :

وعندما عاد الجيش وقف عبد الله عند مضيق المدينة وقال لأبيه : قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ ، فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في الدخول فأذن له .

إن في موقف عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق لعبرة .

وفي حكمة النبي ﷺ في معالجة الأمر لحكمة بالغة .

وفي موقف عبد الله (الابن) وهو يمنع أباه الدخول حتى يأذن له رسول الله لمثل للشباب المؤمن يفوق الوصف .

كل ذلك مما تتعرض له المجتمعات ، ولا يخرجها من مثل هذه الفتن إلا المؤمنون الأقوياء أمثال أسيد بن حضير وعبد الله بن عبد الله بن أبي اللذان نهلا من مدرسة النبوة، ومن أمثالهما فليتعلم الدعاة المؤمنون .

obeikandl.com

(١١)

عظمة القيادة في غزوة بدر

قضى رسول الله ﷺ فترة حياته المباركة في مكة المكرمة من بعثته إلى يوم هجرته في جهاد مستمر لوضع الأسس السليمة لعقيدة التوحيد .

وفي هذه الفترة لاقى المسلمون أذى كثيرا : طوردوا وعذبوا، وأخرجوا من ديارهم ، وصودرت أموالهم، بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . وهاجر المسلمون إلى المدينة بأنفسهم، تاركين وراءهم ذويهم الأقربين تحت رحمة أعدائهم في خطر داهم مقيم . وأذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمؤمنين أن يأخذوا حقهم ممن سلبهم هذه الحقوق ، وأن يسترجعوا أموالهم ممن نهبها ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] .

وفي بدر دارت رحى معركة طاحنة بين الفئتين :

الفئة المؤمنة تدافع عن دينها وحقوقها .

والفئة الكافرة الباغية التي اعتدت على الآخرين وسلبتهم ما يملكون ، وفي هذه الغزوة المباركة دروس في القيادة والتربية ، أعطاها الله لجنده الحاضرين وللمسلمين أجمعين ، لتكون نموذجا رائعا يأخذ به القادة في كل عصر وحين .

كان المسلمون يوم بدر كل ثلاثة يعتقبون على بعير ، وكان رسول الله ﷺ ومرثد بن أبي مرثد ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ يعتقبون بعيرا ، فطلب علي ومرثد من النبي ﷺ أن يتنازلا له عن حصتهما في ركوب البعير ، وقالا له : نحن نمشي عنك فقال النبي ﷺ : « ما أنتما بأقوى على المشي مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

---

(١) الحج .

وهكذا القائد :

١- قوي في موطن القوة ، مثل أعلى لجنده في الصبر والتحمل والقتال والجرأة . يصف علي ﷺ رسول الله ﷺ فيقول : كنا إذا اشتد القتال وحمي وطيس المعركة نلوذ برسول الله ﷺ . كان من أشد الناس بأسا، وما كان أحد منا أقرب إلى العدو منه ، فلا يفت في عضد الجيش أمر أكثر من ضعف القائد وتهالكه .

٢- والقائد لا يميز نفسه عن جنده ، فليست القيادة رتبة لها ميزات ، وإنما مسؤولية تتطلب من القائد مزيدا من التضحية ، حتى يقتنع الجنود بتفوقه .

وفي بدر ، وقبل نشوب المعركة ، جمع رسول الله أركان مجلسه العسكري ليشاورهم في الأمر ، فهذه أول معركة حربية كبيرة مع قريش ، وعلى نتائجها ستترتب نتائج مهمة في مستقبل الدعوة .

والمعركة كانت أساسا تطلب العير وما تحمله ، والتي هي حق للمهاجرين الذين صادر القرشيون أموالهم . وتحولت المعركة الآن إلى قتال بين الفريقين .

والأنصار : الذين هم أغلبية الجيش ، بايعوا النبي ﷺ في العقبة على أن ينصروه ويمنعوه (ما دام في ديارهم) مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم . ورسول الله اليوم في بدر خارج الديار ، فماذا سيكون موقفهم ؟

ولتبيان هذه الأمور ، جمع رسول الله ﷺ أركان مجلسه العسكري ليشاورهم في الأمر .

شاورهم قبل المعركة :

فأعلن المهاجرون على لسان المقداد بن عمرو ﷺ فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (أقصى مكان في الأرض) لجالدنا معك .

كان ﷺ يحب أن يسمع رأي الأنصار ، فنهض سعد بن معاذ (سيد الأنصار) وصاحب لواء كتيبتهم وقال : لكأنك تعنينا يا رسول الله؟ فقال ﷺ : « نعم » .

فأعلن سعد ﷺ : يا رسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد . ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله .

وبعد هذه المشورة واطمئنانه لسلامة الموقف ، أمر رسول الله ﷺ الجيش بالتحرك .

واستمع إلى مشورتهم في ميدان المعركة :

فقد نزل رسول الله ﷺ بالجيش بماء من مياه بدر . فجاءه الحباب بن المنذر الأنصاري ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » . فقال الحباب : انهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال ﷺ : « لقد أشرت بالرأي » ونفذ رسول الله توصية الحباب .

وشاورهم بعد نهاية المعركة :

فقد عقد مجلسا استشاريا شهده كبار الصحابة لبحث موضوع الأسرى وتقرير مصيرهم ، واختلف أعضاء هذا المجلس في الأمر ، ففريق يرى قتلهم والتخلص من رؤوس الشرك ، وفريق منهم كان يرى الرأفة بهم والتأني بشأنهم ، وكان القرارقبول الفدية .

وهكذا أصلت القيادة الإسلامية مبدأ الشورى في الأمر كله ، في القضايا الخاصة ، في داخل الأسرة ، وفي قضايا المجتمع ، وفي الحرب ، وفي السلم ، وفي السياسة ، وفي جميع الأمر كله ، يشاور القائد أهل الشورى ، ويأخذ برأي الأغلبية منهم .

* ومع بدء القتال خرج ثلاثة من رجالات المشركين وقادتهم وهم : شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وكلهم من أبناء عبد مناف ، ودعوا المسلمين إلى

المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار ، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين ، في الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا بني هاشم! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم ، إذ جاؤوكم بباطلهم ليطفئوا نور الله ».

وأمر رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وعلي بن أبي طالب أن يخرجوا لملاقاة صناديد الكفر .

وهكذا القيادة ، تضحي بنفسها وبأقرب الناس لها ، لا تدخر الأقارب للمناصب، بل تزج بهم في ميدان التضحية والوفاء لدين الله ، وبذلك تكون القيادة قدوة للآخرين ضربت بنفسها وبأقرب الناس لها المثل الكريم بالتضحية والفداء .

* وبعد النصر المؤزر الذي أحرزه الجيش الإسلامي على جيش مكة ، وفي الروحاء (قرب المدينة) جاءت وفود المسلمين من أهل المدينة يهنئون رسول الله بما فتح الله عليه، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « يا بن أخي أولئك الملأ » .

وهكذا القيادة تقدر النصر وتوظفه لمصلحة الدعوة ، وتكرم الخصم ولا تستهين به ، والنفوس العالية وحدها هي التي تمنعها أخلاقها من النيل من عدوها، فلا شماتة ولا حقد ، ولا تقليل من أهمية الآخرين .

وفي بدر قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « من لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرها » ، وكان النهي عن قتل أبي البختري ، لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض صحيفة مقاطعة بني هاشم وبني المطلب .

وهكذا القيادة المسلمة : لا تنسى الفضل ، وتقدر المعروف ، وتكافئ أهل المكرمات ، والنبي ﷺ إنما بعث ليتمم **مكارم الأخلاق** .

(١٢)

التمرد بين النفاق وحب الدنيا

كان هدف المشركين في غزوة أحد هو الأخذ بثاراتهم من المسلمين ، وكان هدف المسلمين هو الدفاع عن عقيدتهم ، وعن استقلال دولتهم ، وحماية المسلمين المهاجرين والأنصار من عدوهم .

وسنحاول من خلال دراستنا لهذه الغزوة ، تلمس الدروس والعبر ، التي برزت من خلال قيادة النبي ﷺ لهذه الغزوة.

* كعادته ﷺ فقد بدأ الغزوة بالدعوة إلى انعقاد مجلس الشورى ، ودار النقاش بصورة رئيسة حول المكان الذي يجب أن يلقى فيه المسلمون عدوهم .

كان رأي النبي أن يتحصن المسلمون بالمدينة ، لإجبار قريش على مهاجمتها ، وكان يهدف إلى تمكين المسلمين من إيقاع الخسائر الجسيمة بالمشركين ، دون أن يتحمل المسلمون خسائر تذكر ، وكان (عبد الله بن أبي) يرى هذا الرأي كذلك . ولكن كثيرا من الشباب كانوا متحمسين للخروج ومقاتلة المشركين خارج المدينة، قالوا : يا رسول الله : كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله ، فقد ساقه إلينا وقرب المسير. وكان على رأس هؤلاء الشباب المتحمسين للخروج حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، ومالت كثرة إلى هذا الرأي ، واتضح للرسول ﷺ على أثر هذه المناقشات أن الأغلبية ترى خلاف رأيه ، فلم يسعه إلا الاستجابة لرأيهم ، وبعد ارفضاض المجلس ، خرج الرسول ﷺ على قومه بكامل عدته ، وكان الشباب قد ندموا على تسرعهم ، وظنوا أنهم استكرهوا الرسول ﷺ ، فبلغوه استعدادهم للتنازل عن رأيهم .

وهنا كان الدرس ، قال النبي : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته (كامل سلاحه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » .

فقرار الشورى اتخذته الأغلبية ، ولو كان خلاف رأي القائد . والرأي والرأي الآخر يكونان قبل اتخاذ القرار ، أما إذا اتخذ القرار فلا مجال للتردد أو الضعف أو التراجع ، فإن فساد الرأي أن تترددا .

* وفي الطريق إلى ميدان المعركة تمرد عبد الله بن أبي ، وانسحب راجعا إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل ، وبرر فعلته فقال : لقد عصاني وأطاع الولدان ، ومن لا رأي له، سيعلم ، ما ندري علام نقتل أنفسنا،ارجعوا أيها الناس، فرجع معه أهل النفاق جميعا .

كان بإمكانه ألا يخرج مع الجيش لو كان هذا هو السبب ، ولكنه أراد أن يفت في عضد الجيش على مرأى ومسمع من عدوهم ، والتمرد على القيادة المسلمة خلل في كل الظروف ، فالرأي والرأي الآخر شيء والتمرد شيء آخر.

الدافع لتمرد ابن سلول هو النفاق، والدافع لكل تمرد هو انحراف في الفهم يقرب من النفاق ، فإعجاب الإنسان برأيه ، ورغبته في إبراز نفسه ، هو نوع من هذا النفاق .

والقرآن الكريم يطمئن نبيه فيقول : ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً ﴾[1] .

فكيف تصرف القائد مع هذا الانحراف؟

فريق كان يرى تأديب هؤلاء والقضاء عليهم ، ورأي النبي ﷺ كان ترك هؤلاء ، ومعالجة أمرهم فيما بعد . وبعد انقضاء المعركة ، التي سجلت نصرا للمشركين ، خشي النبي أن يعود أبو سفيان لاحتلال المدينة ، فخرج مع جيشه يتعقبه إلى حمراء الأسد ، ولقد أدرك ابن سلول أن هذه الحركة العسكرية تعيد للمسلمين مكانتهم العسكرية ،وأحب ألا يفوته ذلك ، فطلب من النبي ﷺ أن يلتحق مع أنصاره بالجيش ، وكان الرد حاسما لا يشترك معنا إلا المقاتلون .

---

(١) التوبة : ٤٧ .

*ورابط المشركون في وادي قناة ، ورابط المسلمون في فم الشعب من أحد ، مستقبلين المدينة ، وجاعلين ظهرهم إلى هضاب أحد. واختار النبي ﷺ خمسين من رماة النبل وأوكل إليهم مهمة المرابطة في جبل الرماة (جبل صغير يشرف على جيش المشركين).

وظيفة هؤلاء حماية الجيش الإسلامي من خطر الالتفاف أو ضرب المسلمين من الخلف .

وأوصى الرماة فقال : « احموا لنا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا ، وارشقوهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم . إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم ، حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا »[1] .

ولقد أثمرت هذه الخطة المحكمة نصرا وفوزا للمسلمين ، وحدث الذي كان يخشاه رسول الله ، فما أن مالت الكفة لصالح المسلمين ، وبدأ صناديد الإسلام يطاردون القرشيين ، حتى ظن الرماة أن المعركة قد انتهت فمالوا مع الجيش لجمع الغنائم ، إنه التمرد على أوامر القيادة الواضحة الصريحة التي لا تحتمل التأويل ولا التفسير،ومع هذا التمرد اختل ميزان المعركة ، فقتل عدد من أبطال المسلمين ، وكان تركيز المهاجمين القرشيين على النبي يحاولون قتله ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[2] . كل ذلك بسبب التمرد .

كان التمرد الأول بقيادة عبد الله بن أُبي ابن سلول تمردا سببه النفاق ، وكان التمرد الثاني بقيادة الرماة تمردا سببه الجهل والعصيان وحب الدنيا وعدم إطاعة أوامر القيادة الواضحة ، وبين التمرد الأول والتمرد الثاني ضاعت المعركة وتعرض المسلمون لأسوأ نكسة في تاريخهم الحربي مع قريش .

---

(١) السيرة الحلبية ٢/ ١٨.

(٢) آل عمران : ١٥٢ .

درس عظيم في التربية ، أكده المربي الأول محمد ﷺ ، بـأن التمـرد شيء والـرأي الآخـر شيء آخر، والتمرد قد يكون من أسبابه النفاق، وقد يكون من أسـبابه الجهـل والعـصيان وحب الدنيا ، وفي كلتا الحالتين يخسر المسلمون معـركتهم .فهـل ينتبـه الـدعاة إلى الله إلى خطورة التمرد؟

obeikandl.com

(١٣)

الثوابت لا تتغير بالأمور الطارئة

كان لمأساة غزوة أحد أثر سيئ على سمعة المسلمين العسكرية ، فقد ذهبت ريحهم ، وزالت هيبتهم من نفوس عدوهم ، وأحاطت بهم الأخطار من كل جانب ، فلم يمض على معركة أحد شهران حتى تهيأت بنو أسد للإغارة على المدينة ، ثم قامت قبائل عضل والقارة (في شهر صفر سنة ٤ هـ) بمكيدة ، فقد ذكروا أن فيهم إسلاما وسألوا النبي ﷺ أن يبعث معهم من يعلم قومهم الإسلام ، فبعث معهم النبي ﷺ عشرة رجال وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ﷺ ، فغدروا بهم عند ماء يقال له : الرجيع .

وفي نفس الشهر (صفر ٤ هـ) وقعت مأساة أخرى أشد وأفظع، وهي التي تعرف بمذبحة بئر معونة ، فقد طلب أبو براء عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) أن يبعث رسول الله ﷺ أصحابه معه إلى نجد يدعون أهلها إلى الإسلام ، فبعث رسول الله معه سبعين صحابيا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم ، فغدروا بهم وقتلوهم جميعا عند موقع يقال له : بئر معونة .

لقد تألم النبي ﷺ والمسلمون لهذه الفواجع التى تتوالى عليهم الواحدة بعد الأخرى ، والتي ختمها يهود بني النضير بمحاولتهم قتل النبي ﷺ، معتقدين أن تنفيذ هذه الجريمة سيضع حدا نهائيا للدعوة الإسلامية ويخرس صوتها إلى الأبد .

وهكذا تتوالى المحن على الصف المسلم ، وكأنما أراد رب العزة أن يقول لهم أن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال . قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (١) .

فلا يكفي أن يقول الناس : آمنا. وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم ، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب .

إن الفتنة على الإيمان أصل ثابت ، وسنة جارية في ميزان الله ـ سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٢) .

إن الإيمان أمانة الله في الأرض ، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة ، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص ، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة ، وعلى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء ، وإنها لأمانة الخلافة في الأرض ، وقيادة الناس إلى طريق الله ، وتحقيق كلمته في عالم الحياة . فهي أمانة كريمة ، وهي أمانة ثقيلة ، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس ، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على البلاء .

ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ، وهناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه ، وهو لا يملك عنهم دفعا ، وقد يهتفون به ليسالم أو يستسلم .

وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة . فإذا طال الأمد ، وأبطأ النصر كانت الفتنة أشد وأقسى ، وكان الابتلاء أشد وأعنف .

إن الابتلاءات المتكررة والفتن المتنوعة التي أصابت الصف المسلم في غزوة أحد وما أصابهم قبله وبعده ، هي الإعداد الحقيقي لهذا الصف لتحمل الأمانة .

والنفس تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث ، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع ، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل . وكذلك تفعل

---

(١) العنكبوت .
(٢) العنكبوت : ٣ .

الشدائد بالجماعات ، فلا يبقى صامدا إلا أصلبها عودا ، وأقواها طبيعة ، وأشدها اتصالا بالله ، وهؤلاء هم الذين يسلّمون الراية في النهاية [1] .

هذا الدرس الذي تعرض له الصف المسلم بعد غزوة أحد ، هو الدرس الذي ينبغي أن يفهمه كل صف مسلم ، في كل مكان، وفي كل زمان ، أن الفتنة على الإيمان أصل ثابت وسنة جارية ، ولكل زمان طغاته ، ولكل طاغية فتنته .

- وهناك درس آخر ، هو أن الأمور الطارئة لا تغير من ثوابت الدعوة ، فالنكسة العسكرية في أحد ، لم تمنع النبي ﷺ أن يرسل عددا من الدعاة إلى قبائل عضل والقارة يعلمونهم الإسلام ، فغدروا بهم عند ماء الرجيع ، ولم يمنع ذلك النبي أن يرسل مزيدا من الدعاة إلى أهل نجد يعلمونهم الإسلام فغدروا بهم عند بئر معونة ، فالثوابت لا تتغير بالأمور الطارئة .

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب ٥/ ٢٧٢١ .

obeikandl.com